

إرشاد الفضلاء إلى رد طعونات عرفات في الصحابة الطلقاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد استمعتُ إلى محاضرة لـ (عرفات المحمدي) عبر إذاعة "ميراث الأنبياء" بعنوان [شرح السيرة النبوية - شريط (٤٦) غزوة حنين] فرأيتُ أن أُعَلِّقَ على مقطعين منها لما اشتملا عليه من الطعن في الصحابة الطلقاء وهم مسلمة الفتح.

المقطع الأول/ عرفات المحمدي يطعن في الطلقاء في مكة

أ- قال عرفات المحمدي في "شرح السيرة النبوية" [شريط ٤٦ الدقيقة ٥٠] - في أثناء كلامه عن أسباب الهزيمة في غزوة حنين - وهو يُبَيِّنُ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة:

((ماذا كان يقول النبي عليه الصلاة والسلام من دعائه؟ كان يقول يوم حنين: "اللَّهُمَّ إِنِّي شِئْتُ أَنْ لَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ".

هذه قالها في غزوة بدر وقالها في غزوة حنين، كما جاء عند أحمد بسند صحيح. "اللهم إن شئت ألا تعبد بعد اليوم": وهذا صحيح كما ذكر ذلك الشراح:

• لأنَّ معظم المسلمين أو كلهم - إلا القليل منهم - كان حاضراً مع النبي عليه الصلاة والسلام.

• وأهل مكة يومئذ لم يستحكم الإيمان فيهم ولم تخالط كذلك بشاشته قلوبهم:

- بل كانوا ما بين مؤلَّفٍ؛ يعني من المؤلفة قلوبهم.

- ومنهم من كان مستأمنًا.

- ومنهم من أظهر الإيمان على مضمض؛ كما ذكر ذلك العلماء.

• والعرب كانت معظمهم في ذلك اليوم يُقاتلون النبيَّ عليه الصلاة والسلام مع هوازن، أو كانت هوازن تجمَّعت مع غطفان، وقبائل كذلك قد تألَّبت لقتال النبي عليه الصلاة والسلام.

فقال العلماء: إذا لم يُنصر أو لم ينصره الله ولم ينصر دينه ولم يؤيد محمداً عليه الصلاة والسلام ويعز جنده ويكبت الكفار كذلك ويخذلهم في ذلك اليوم لحصل أنَّ النفاق سينجم ويظهر الكفر والشقاق ويحصل ما يحصل)) انتهى كلامه.

أقول:

عرفات في هذا الكلام يريد أن يوضح معنى حديث "اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تُعَبِّدَ بَعْدَ الْيَوْمِ"، ولا يريد هنا أن يبين سبب الهزيمة في حنين في أول الغزوة كما نشر عنه بعض من لم يرجع إلى المحاضرة، فهو يتكلم عن مسلمة الفتح (الذين بقوا) في مكة لا (الذين خرجوا) مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة، أقول هذا من باب الإنصاف.

لكن هل هذا يعفي عرفات من الانتقاد؟!

لا، وذلك لعدة أمور:

الأول/ أن وصف (أهل مكة) في ذلك الوقت - وفيهم الطلقاء وغيرهم - بهذه الأوصاف غلط كبير منه، ويفهم منه: التشكيك في صحة إيمانهم أو التشكيك في تمكُّن الإيمان في قلوبهم من غير استثناء أحد منهم!، وكفى بهذا قبحاً وذمماً وطعنًا.

ولو كان الطلقاء بهذا الوصف الذي ذكره عرفات لما خرج منهم ألفان مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كما سيأتي بيانه؟!

الثاني/ أن العلماء ما ذكروا في شرح هذا الدعاء مثل هذا السبب الذي ذكره عرفات!، ولو ذكروا ذلك لاعترض عليهم معترض بمن بقي من الصحابة في المدينة وفي غيرها من المدن من الوفود الذين أسلموا قبل الفتح!.

قال ابن الجوزي في "كشف المشكل من حديث الصحيحين" في دعائه يوم بدر: ((ثم قد أسلم بمكة خلق كثير في ثلاث عشرة سنة من النبوة، ثم في المدينة سنتين، وامتدَّ الإسلام في الأطراف، ووجبت الهجرة فجاء الخلق، فأخذ من جملة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر وخرج، وتخلَّف عنه عثمان وطلحة وسعيد بن زيد لأسباب، فقد كان في المدينة وحدها خلق كثير لم يخرجوا معه، غير من في البلاد، فلو هلك من معه: لبقى أضعافهم من المسلمين فلم تنقطع العبادة)).

فهل يجيز لنا ما ذكره عرفات المحمدي أن نعمم القول بهذه الأوصاف على جميع الصحابة ممن لم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين؟! هذا لا يقول به أحد من أهل السنة، ولكن كلام عرفات يُفهم منه ذلك!.

الثالث/ إِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ "اللَّهُمَّ إِنَّ شِئْتَ أَنْ لَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ"، قَالَ عُرْفَات: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَدْرٍ وَفِي حَنِينٍ، وَأَزِيدَ عَلَيْهِ: وَفِي (أَحَدٍ) كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي "الْفَتْحِ": ((وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ أَيْضًا يَوْمَ أَحَدٍ)).

فَهَلْ يُفْهَمُ مِنْ هَلَاكِ الْمُقَاتِلِينَ فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ الثَّلَاثِ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ يُوصَفُ بِوَاحِدٍ مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا عُرْفَاتُ أَهْلَ مَكَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ؟! هَذَا مِنْ أَبْطَلِ مَا يَكُونُ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ الطَّعْنُ فِي إِيْمَانِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَفِي غَزْوَةِ أَحَدٍ أَيْضًا!!، فَهَلْ يَلْزَمُ عُرْفَاتُ هَذَا؟!

الرَّابِعُ/ إِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ "اللَّهُمَّ إِنَّ شِئْتَ أَنْ لَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ" هُوَ عَلَى مَنَوَالِ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَدْرٍ "اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ" كَمَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي شَرْحِهِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ:

((فَإِنَّ الْقَطْعَ عَلَى نَفْيِ الْعِبَادَةِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: مُحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ مِمَّا أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيْبِ، وَكَانَ مِمَّا أُطْلِعَ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَبْعَثُ نَبِيًّا بَعْدَهُ وَلَا يَخْلُقُ لِحِفْظِ قَاعِدَةِ دِينِهِ وَنَصْرَتِهِ سِوَى هَؤُلَاءِ، فَأَخْبَرَ عَنْ عِلْمِ الْحَقِّ عِزَّ وَجَلَّ لَا عَنْ ظَنِّ نَفْسِهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا هَلَكَ هَؤُلَاءِ النَّاظِلُونَ عَنِّي وَهُمْ جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَخِيَارُهُمْ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي بَطَلَتِ الْعِبَادَةُ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِنَشْرِ الشَّرِيعَةِ)) كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "كَشَفِ الْمَشْكِلِ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ".

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ هُمْ خِيَارُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهُمْ الْعَصَابَةُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ مَدَارُ نَشْرِ هَذَا الدِّينِ وَنَصْرَتِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، فَلَوْ حَصَلَ أَنَّهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا لَحَصَلَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ فِي صَفُوفِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ لَعَلَّهَا أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الرَّدَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِعَدَمِ أَوْ قِلَّةِ أَوْ ضَعْفِ مَنْ يَقُومُ بِنَشْرِ هَذَا الدِّينِ وَنَصْرَتِهِ بِالسَّيْفِ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ بَعْدَ هَلَاكِ هَذِهِ الْعَصَابَةِ، فَضْلًا عَنْ قُوَّةِ الْكُفَّارِ وَكَثْرَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْفَهْمَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةُ مَنْ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، وَكَذَلِكَ رَوَايَةٌ: "لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةُ مَنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، وَكِلَاهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

فَمَا دَامَ أَنَّ هَذِهِ الْعَصَابَةَ الَّتِي تَقَاتِلُ عَلَى الْحَقِّ مَوْجُودَةٌ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَائِمٌ ظَاهِرٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِحِفْظِ دِينِهِ وَعِبَادِهِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "كَشَفِ الْمَشْكِلِ" مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ: ((وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ الْأُمُورَ مَنْوُطَةً بِالْأَسْبَابِ، فَإِذَا قُطِعَ هَذَا السَّبَبُ، فَكَأَنَّكَ قَدْ شِئْتَ قَطْعَ الْعِبَادَةِ، وَتَتَضَمَّنُ هَذَا شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّكَ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادَةِ وَنَحْنُ

فقراء إليهما، والثاني: أننا نخاف هلاك الصالحين فيبقى أهل الفساد فيشمت بنا من قال: "أتجعل فيها من يفسد فيها")).

أقول:

وهذا المعنى الذي ذكره ابن الجوزي رحمه الله هو أولى الأقوال في شرح دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو المتعين الذي لا يقال بغيره، وأما ما ذكره عرفات فهو أقبح الأقوال وأبعدها عن الصواب، والله أعلم.

المقطع الثاني/ عرفات المحمدي يطعن في الطلقاء الذين خرجوا في غزوة حنين

ب- قال عرفات المحمدي في "شرح السيرة النبوية" [شريط ٤٦ الدقيقة ٣٨] وهو يذكر أسباب الهزيمة في حنين في أول الغزوة: ((ومن الأسباب التي جعلت المسلمين ينهزمون: أنَّ مسلمة الفتح - وهم حديثوا عهد بجاهلية - والذي عبّر عنهم البراء بن عازب بقوله "سرّعان الناس"، هكذا كان يقول رضي الله عنه، لأنه سُئل: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار؟ فقال: أشهد على أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى، ولكنه انطلق - وسيأتي الكلام عن حول انطلاق النبي عليه الصلاة والسلام وحول هجومه عليه الصلاة والسلام على المشركين - وفي رواية عجل سرعان الناس، والمقصود بسرعان الناس: هم الذين يتسارعون إلى الشيء ويقبلون عليه قبل الناس.

إذن هذا الفرار الذي حصل كان سبب هؤلاء، وذكر العلماء أنهم مسلمة الفتح أي الطلقاء.

وحصل هذا الفرار أيضاً من الأعراب لأنهم شاركوا وهم سكان البادية، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أنس: "فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرّت الأعراب ومن نعلم من الناس"، إذن حصل أيضاً أنَّ الأعراب فرّت.

وحصل أنَّ الطلقاء فروا وانهزموا كما جاء في صحيح مسلم من حديث أم سليم رضي الله عنها)).

أقول:

١- عرفات في كلامه هذا يُرجع أحد أسباب الفرار في غزوة حنين إلى الطلقاء (وهم مسلمة الفتح) وإلى الأعراب، وهذا ما قرره قبله أبو الحسن المأربي تماماً.

قال أبو الحسن المأربي [شريط جلسة في مأرب رقم ٥ الوجه ١]: ((قلتُ: أنَّ هناك في معركة بدر في معركة حنين مع ثقيف حصل في المسلمين مسلمة الفتح الجدد الذين لم يثبت الإسلام في قلوبهم وهم جدد، فأول ما حصل شيء انكشفوا، ولما انكشفوا انكشف معهم بعض الصادقين، انكشف مسلمة الفتح والأعراب)).

ويكفي في الردّ عليهما معاً ما قاله الشيخ ربيع حفظه الله في المجموع [١٣/٤٠٣-٤٠٤]:

((انظر إلى هذا التماذي والجدال الطويل دون وجل أو ندم، أليس لهذا دلالات؟!

ثم كيف علمت أنَّ الإسلام لم يثبت في قلوبهم؟!

ثم إنه لا يعرف عن أحد من المفسرين أو المحدثين بل ومن الصحابة من قال: إنَّ سبب الهزيمة في حنين هم مسلمة الفتح ولا الأعراب، بل قالوا في تفسير قول الله: "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم..." الآية، إنَّ قائلها رجلٌ، وفي قول أبي بكر، وفي قول أهل مكة والمدينة، قالوا: الآن اجتمعنا على قتال الكفار، فهل يقال في أبي بكر أو المهاجرين والأنصار: إنهم غثاء؟!

وهل الذين فاؤا فوراً واجتلدوا مع المشركين حتى هزموهم يقال فيهم دون هذا الوصف؟!)).

٢- عرفات ذكر أنَّ الصحابة في غزوة حنين كانوا (١٢) ألف صحابياً، منهم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء (مسلمة الفتح)، وهذا هو الصحيح، وذكر أنَّ الثابتين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أقل من (١٠٠) من الصحابة في أكثر الروايات.

فإذا عرفنا هذا عرفنا أنَّ رمي اللوم في الهزيمة على الطلقاء غير صحيح؛ علماً أنَّ أحد الطلقاء وهو (أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب) كان من الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ ربيع حفظه الله في رده على المأربي في المجموع [١٣/٤٠١]: ((إن كان وصفك إياهم بالغثائية لأنهم انكشفوا أمام العدو؟ فالصحابه الصادقون - حسب تصنيفك - انكشفوا معهم!، فبماذا تصفهم والعياذ بالله؟! ووالله إنهم جميعاً لصادقون)).

وعرفنا أنَّ السبب الحقيقي في التولي في أول الغزوة هو ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز أي (الإعجاب بكثرة جيش المسلمين) وقول القائل في تلك الغزوة: "لن نغلب من قلة"، يعني ما غلبنا ونحن قلة فكيف نُغلب ونحن كثرة؟!، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: ((يُخْبِرُهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَأَنَّهُ يَنْصُرُ الْقَلِيلَ عَلَى الْكَثِيرِ إِذَا شَاءَ، وَيُخَلِّي الْقَلِيلَ فَيَهْزِمُ الْكَثِيرَ)).

٣- زعم عرفات في كلامه السابق أنَّ "سَرَعَانَ النَّاسِ" هم الطلقاء وهم مسلمة الفتح!، وهذا خطأ كبير، فقد جاء بيان هذا في الرواية التي في صحيح مسلم:

فَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ: يَا أَبَا عَمَّارَةَ أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخْفَاؤُهُمْ حُسْرًا لِنَسِ عَلَيْهِمْ سِلَاحٌ أَوْ كَثِيرُ سِلَاحٍ، فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاءً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، جَمَعَ هَوَازِنَ وَبَنَى نَصْرٍ، فَرَشَقُوهُمْ رَشَقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَتَزَلَّ فَاسْتَنْصَرَ، وَقَالَ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ثُمَّ صَفَّهُمْ.

فهذه الرواية تفسر رواية:

قَالَ رَجُلٌ: لِلْبَرَاءِ يَا أَبَا عَمَّارَةَ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ وَلَّى سَرَعَانَ النَّاسِ، تَلَقَّيْتُمْ هَوَازِنَ النَّبْلِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ أَخَذَ بِلِجَامِهَا، وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قال المباركفوري في "تحفة الأحوذى": ((وَلَكِنْ وَلَّى سَرَعَانَ النَّاسِ"، قَالَ فِي الْهِمَاقَةِ: السَّرَعَانُ بِفَتْحِ السِّينِ وَالرَّاءِ أَوَائِلُ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَسَارِعُونَ إِلَى الشَّيْءِ وَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَيَجُوزُ تَسْكِينُ الرَّاءِ إِنْتَهَى)).

فسرعان الناس هم شباب الصحابة الذين خرجوا لمواجهة العدو في أوائل الناس بسرعة مع قلة سلاحهم، وهؤلاء الصحابة لم يكونوا مستعدين لهذا الكمين الذي نصبته هوازن لهم في وادي حنين، فلا غرابة أن يولُّوا مدبرين بسبب ذلك، لأنَّ في بقائهم في ذلك الحال مهلكة محتمة.

فالبراء بن عازب رضي الله عنه اعتذر للصحابة بهذا الاعتذار بينما عرفات المحمدي ومن قبله أبو الحسن الماربي يذمون هؤلاء بأوصاف السوء ولا يعتذرون لهم، قال الشيخ ربيع في "تنبيه أبي الحسن إلى القول بالتي هي أحسن": ((فهذا إعتذار شريف في غاية الشرف: شباب حسر، وسارعوا إلى لقاء جمع كبير هوازن وبني نصر، وهم رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا على رسول الله ولم يقل "فروا"، وجاءت كلمة "أخفاء" التي يمنع من قصد الذم بها هذا السياق الممتلئ احتراماً وإكراماً لهم وذباً عن أعراضهم، وانظر إلى لطف وأدب قوله: "فأقبلوا على رسول الله" رداً لقول السائل أفررتكم؟)).

٤- التقليل من شأن الطلقاء (مسلمة الفتح) فيه نزعة رافضية، فقد كان الرافضة ولا زالوا يعيبون على بعض الصحابة بقولهم: "فلان من الطلقاء!"، أو "فلان طليق ابن طليق!"، ويقصدون التشكيك في إيمانه وذمه.

ومع الأسف سار على هذا أبو الحسن الماربي وتبعه عرفات المحمدي!، كما يُلاحظ السامع لكلام عرفات في "غزوة حنين"!

ودونكم جملة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الثناء على هؤلاء الطلقاء رضي الله عنهم: - قال رحمه الله: ((وأما معاوية بن أبي سفيان وأمثاله من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة كعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب؛ هؤلاء وغيرهم ممن حسن إسلامهم باتفاق المسلمين، ولم يُتهم أحدٌ منهم بعد ذلك بنفاق)) [المجموع ٦٤/٣٥].

- وقال: ((وهؤلاء المذكورون دخلوا في قوله تعالى: "لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى"، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الطُّلُقَاءَ مُسْلِمَةَ الْفَتْحِ هُمْ مِمَّنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ الْحُسْنَى، فَإِنَّهُمْ أَنْفَقُوا بَحْنِينَ وَالطَّائِفِ وَقَاتَلُوا فِيهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَهُمْ أَيْضًا دَاخِلُونَ فِيَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ") [المجموع ٤٥٩/٤].

- وقال: ((فَهَكَذَا كَانَ إِسْلَامُ غَيْرِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَسْلَمُوا رَغْبَةً وَرَهْبَةً كإِسْلَامِ الطُّلُقَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ قَهَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِسْلَامِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ لِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ كَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ؛ بَلْ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ تَكْذِيبٌ وَمُعَادَاةٌ لِلرَّسُولِ، وَلَا اسْتِنَارَتْ قُلُوبُهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَلَا اسْتُبْصِرُوا فِيهِ؛ وَهَؤُلَاءِ قَدْ يَحْسُنُ إِسْلَامُ أَحَدِهِمْ فَيَصِيرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَكْثَرِ الطُّلُقَاءِ، وَقَدْ يَبْقَى مِنْ فُسَاقِ الْمِلَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيرُ مُنَافِقًا مُرْتَابًا...

فَإِنَّ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ ابْتِدَاءً لَا يَكُونُ قَدْ حَصَلَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانُ لِكِنَّهُ يَحْصُلُ فِيهِمَا بَعْدُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: "كَانَ الرَّجُلُ يُسْلِمُ أَوَّلَ النَّهَارِ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا فَلَا يَجِيءُ آخِرَ النَّهَارِ إِلَّا وَالْإِسْلَامُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"، وَلِهَذَا كَانَ عَامَّةُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا رَغْبَةً وَرَهْبَةً دَخَلَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ)) [المجموع ٢٥٢/٧].

- وقال: ((وأما قوله "إنه الطليق ابن الطليق" فهذا ليس نعت ذم، فإنَّ الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا نحواً من ألفي رجل. وفيهم من صار من خيار المسلمين كالحارث بن هشام وسهل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان وحكيم بن حزام وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يهجره ثم حسن إسلامه وعتاب بن أسيد الذي ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة لما فتحها وغير هؤلاء ممن حسن إسلامه)) [منهاج السنة ٤/٢١٥].

- وقال: ((وأما قوله "كان معاوية من المؤلفة قلوبهم..."، فنعم وأكثر الطلقاء كلهم من المؤلفة قلوبهم كالحارث بن هشام وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وهؤلاء من خيار المسلمين، والمؤلفة قلوبهم غالبهم حسن إسلامه، وكان الرجل منهم يسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس)) [منهاج السنة ٤/٢١٨].

الخاتمة:

هذا وقد نصح بعض الإخوة عرفات المحمدي في طعنه السابق في "الطلاق" سواء الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين أو الذين بقوا في مكة يومئذ، فلم يقبل عرفات نصحتهم، بل قام بحظر أحدهم!

فقام بعدها الأخ أحمد يوسف البحريني بسؤال الشيخ ربيع حفظه الله في ١٨ شوال ١٤٣٩ هـ عن مقولة عرفات الأولى فقط - ولم يذكر اسم القائل - فكان جواب الشيخ ربيع: ((قاتله الله قاتله الله قاتله الله، هذه مقالة فيها رفض)).

فلما خرج الأخ البحريني من بيت الشيخ ربيع، قال الشيخ ربيع حفظه الله لبعض الحاضرين عنده: من قائل هذه المقالة؟ قالوا: عرفات، فأرسل الشيخ ربيع بطلب نص كلامه وكلام العلماء الذي نسبه إليهم. فكان دليل عرفات حديث أم سليم في صحيح مسلم، وكلام القاضي عياض والنووي وابن عثيمين في شرح هذا الحديث كما سيأتي بيانه.

فقال الشيخ ربيع بعد أن اطلع على أدلة عرفات: "أبلغوا عرفات أن يكتب توبة، لا ينبغي أن يقال هذا في الصحابة".

فكتب عرفات تراجعاً في اليوم نفسه (١٨ شوال ١٤٣٩ هـ)، وقال: "أتراجع عن هذا وسأحذفه إن شاء الله، واستغفر ربي الغفور الرحيم".

ثم أخرج البعض بياناً (مطبوعاً) بتاريخ ٢٢ شوال ١٤٣٩ هـ موقعاً الشيخ ربيع، وهذا نصّه:
(ظننتُ من سؤال السائل أنه يعني شخصاً ما زال يعتقد أنّ الطلقاء لم يستحكم الإيمان في قلوبهم رضي الله عنهم، وأنهم لم يُحسن إسلامهم بعد.

وأما من ذكر هذا في ذلك الوقت وهو يحكي حال تلك الغزوة وما وقع فيها ولا يقصد أنهم استمروا على هذا الاعتقاد؛ بل يعتقد أنهم حسن إسلامهم وأنهم من خيار الصحابة: فلا يثرب عليه، وواقع عرفات المحمدي ومنهجه يشهدان بهذا)).

وهذا البيان فيه وقفات:

الأولى/ أنّ الطلقاء هم من خيار الصحابة وقد حسن إسلامهم واستحكم الإيمان في قلوبهم خلافاً لما جاء في كلام عرفات المتقدّم.

الثانية/ أنّ الكلام الذي صدر من عرفات في حق الطلقاء له صورتان:

أ- إن كان قائله ما زال يعتقد أنّ الطلقاء بهذا الوصف (لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ولم يحسن إسلامهم)، فكلامه كلام الرافضة.

ب- وإن كان قائله يعتقد أنّ الطلقاء حسن إسلامهم بعد ذلك وأنهم أصبحوا من خيار الصحابة ولكنه وصفهم بما كانوا عليه في غزوة حنين ولا يقصد أنهم استمروا على هذا الحال: فلا تثريب عليه.

وهذا يعني أنّ الحكم على القائل يبنى على اعتقاده ومقصده لا على ألفاظه وعباراته.

الثالثة/ أنّ الشيخ ربيعاً حفظه الله دفع التهمة عن عرفات بما يعرفه من منهجه وواقعه.

والوقفتان الثانية والثالثة مشكلتان لأنهما يخالفان ما هو معروف عن الشيخ ربيع حفظه الله في هذا

الباب، ومن اطلع على رده على أبي الحسن المأربي في المجموع [١٣/ ٤٠١-٤٠٥] عرف ذلك جيداً.

ومعلوم أنّ الله عزّ وجلّ نهى الصحابة عن كلمة (راعنا) دون النظر إلى مقصدهم.

والاعتذار لعرفات بما يشهد له واقعه ومنهجه يدخل في حمل المجمل على المفصّل؛ كما هو ظاهر.

وقد قال الشيخ ربيع حفظه الله في رده "إبطال مزاعم أبي الحسن حول المجمل والمفصّل": ((ومن تكلم

بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة ولو كان يرد على أهل الباطل، وقالوا إنما قابل

بدعة ببدعة أخرى، ورد باطلاً بباطل، ولو كان هذا الراد من أفاضل أهل السنة والجماعة، ولا

يقولون ولن يقولوا يحمل مجمله على مفصله لأننا نعرف أنه من أهل السنة)).

وأما دليل عرفات على جواز كلامه السابق في الطلقاء:

فهو ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خَنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟»، قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ».

ونقل عرفات عن القاضي عياض في "إكمال المعلم" قوله: ((وقول أم سليم: "اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك"، استحقوا عندها ذلك لثمتهم قصد ذلك لقرب إسلامهم، ومنهم من لم يكن أسلم بعد".

وقال النووي في "شرحه": ((قولها: "اقتل من بعدنا من الطلقاء"، هو بضم الطاء وفتح اللام، وهم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح، سموا بذلك لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مَنَّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف، فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون، وأنهم استحقوا القتل بائنهزامهم وغيره)). وقال الشيخ ابن عثيمين في "شرحه": ((قولها رضي الله عنها "اقتل" هو فعل أمر، فهي تريد أَنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام يقتلهم، لأنها شَكَّت في كونهم منافقين حيث انهزموا)). والجواب عنه:

١- تقدم معنا أَنَّ الذين وَلَّوْا مدبرين في غزوة حنين هم جمهور الصحابة في ذلك الوقت وليسوا الطلقاء فحسب، وعرفنا السبب في ذلك.

٢- اعتقدت أم سليم رضي الله عنها أَنَّ الطلقاء هم سبب الهزيمة الأولى وَأَنَّ الناس تبعوهم على ذلك، ولعلها شَكَّت في إيمانهم وظنَّت أنهم نافقوا، ولهذا رأت أنهم يستحقون القتل، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصوِّبها، فلا حجة في قولها لعرفات، ولهذا أجابها صلى الله عليه وسلم بالجواب المناسب فقال: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ"، أي إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كفانا مؤنة صد العدوان وأحسن عنا هزيمتهم ورد كيدهم.

٣- قال الشيخ ربيع حفظه الله في "تنبيه أبي الحسن إلى القول بالتي هي أحسن": ((جاء أبو الحسن - الذي يحارب التقليد! - بكلام النووي والقاضي عياض ليجعل منه حجة يهون بها من فظاعة إطلاقه كلمة غثاء!، ويؤكد مرة أخرى أَنَّ في حنين أناساً لم يكونوا في إيمانهم مثل الصحابة الكبار.

نقول: نعم هم يتفاوتون في الإيمان والفضل، ولكن ليس فيهم غثاء، بل أدناهم إيماناً أفضل من الدنيا ومن عليها من رجال وجيوش، وأصفى من الذهب الخالص، وأشمخ من الجبال، وأفضل وأكمل من كبار التابعين فضلاً عن غيرهم)).

وليس في كلام شراح الحديث حجة لعرفات، لأنهم بيّنوا السبب الذي اعتقدت أم سليم رضي الله عنها أنهم يستحقون به القتل، ولا يلزم هذا أنهم يوافقون أم سليم في اعتقادها في هؤلاء الطلقاء!، وقد تبين أن أم سليم مخطئة لأن هؤلاء لا يستحقون القتل.

والشيخ ربيع حفظه الله لما اطلع على أدلة عرفات لم يرها موفقة، ولهذا طلب منه فوراً أن يكتب توبة ويرجع عن هذا الخطأ، فكتب عرفات توبته، لكنه لم يحذف كلامه السابق من ذلك الدرس حتى هذه الساعة، بل حاول - هو ومن يعينه على تقرير هذا الطعن في الطلقاء! - أن يبرر خطأه المتقدّم بدعوى أن بعض العلماء لهم كلام يشبه كلام عرفات!، مثل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام الشيخ ربيع نفسه!، ومن اطلع عليها وجد الفرق بينهما واضحاً، فكان بيان الشيخ ربيع الذي تقدّم ذكره، والذي استغله مع الأسف بعض أعداء المنهج السلفي في الطعن في الشيخ ربيع وفي نصره باطلهم، والله المستعان وعليه التكلان.